مشارب اللبن

والشبان المتعطلون

اللبن من المواد القليلة التي تتوافر فيها جميع العناصر اللازمة للتغذية الكاملة بمقادير مناسبة. وقد ثبت فى حالات كثيرة أن وجود اللبن أو مشتقاته ضمن الغذاء يكفل كفاية للجسم ويترتب عليه تحسن فى صحة متناوليه .

ومصر بلد زراعى يجب أن يكون إنتاج اللبن فيه متوافرا وبكميات كبيرة ؛ ويجب أن يتفنن فى صناعة اللبن ومشتقاته كما صنعت هولندا والدانمارك وخصوبة أرضهما لا تبلغ خصوبة وادى النيل؛ وجوهما لا يصلح لتربية الحيوان ومأكله من النبات بعض صلاحية الجو المصرى .

وتوافر اللبن ومشتقاته فى مصر مورد من مو رد الثروة القومية يقاوم حدة الفقر و ينشر الرخاء فى أوساط الفلاحين ، كما أنه عامل من عوامل الصحة العامة للا فراد والجماعات ولا سيما للأطفال فى المدن والريف. فلو وفرنا لكل طفل كو با من اللبن فى اليوم أو أدخلنا فى غذائه قطعة من الجبن ولو "القريش" لضمنا بذلك سلامة صحته وتقدم نموه ومقاومته للأمراض .

وليس هذا موضوعنا هنا و إنما هى تقدمة لابد منها فى هذه المناسبة . أما ماقصدنا إليه بكتابة هذه الكلمة فهو ما لاحظناه فى هذه الأيام من انتشار مشارب اللبن فى العاصمة . هذه المشارب التى تقدم لروادها بدل القهوة والشاى والمشروبات الروحية أنواع اللبن فى أشكال متعددة ، كاللبن الساخن ، واللبن المثلج ، واللبن المضروب بالبخار ، وابن الزبادى ، واللبن الناضج فى الفرن ، والأرز باللبن ، وفالوذج اللبن ، واللبن المجمد بالتبريد وهكذا .

وهذه المشارب تتراوح فى الاستعداد وتنويع المشروبات والمأكولات اللبنية، كما تتراوح فى نظافتها ووجاهتها وموقعها فى المدينة ، ولكنها تتفق جميعا فى تخصصها بنوع واحد من أنواع المشروبات تقدمه فى أشكال مختلفات .

سألت أحد الندل فى أحد هذه المشارب : كم يكسب هذا المحل فى اليوم على وجه التقريب ؟ فكان جوابه لا أقل من عشرة جنيهات ؛ وسألته عن تكاليفه فقال : لا تزيد على خمسمائه جنيه . وهذا المحل مجهز بالأفران الكهربائية والبخارية و بأفضل الثلاجات والأدوات ... ولما سألت هذا النادل . هل صاحب هذا المحل مصرى ؟ أجاب فى أسف "ياريت . لكن ميبنفعوش" !

رنت كلمات النادل فى سمعى وتجاوبت فى نفسى ؛ رأس مال لا يتجاوز خمسمائة جنيه يربح فى الشهر الواحد ثلثمائة جنيه . وصاحب المشرب أجنبى . والخامات كلها مصرية . وباليته يكون مصريا . ولكن المصريين لا يفلحون فى مثل هذه الأعمال !

هذه الكلمات العابرة تستحق الوقوف عندها ؟

لم لا يتوجه الشبان المصريون ، ولا سيما خريجو كلية الزراعة ، إلى هذا النحو من الأعمال بدل تعطلهم وتطلعهم الى إحدى وظائف الحكومة ذات المرتب المحدود ، وبعضهم يقبل أعمالا كتابية لا تمت إلى ثقافته بصلة ولا يزيد مرتبه فيها على ستة جنيهات باليومية فى بعض الأحيان ؟

لم لا نستغل حاجة السوق فى العواصم إلى مشارب اللبن وهى نوع جديد من المشارب يجتذب اليه عددا كبيرا من رواد المقاهى الذين يميلون إلى التجديد ويجرون وراء "المودة" كما يجتذب عددا من الشبان والرجال المتطهرين الذين يشمئزون من الجلوس الى البارات والمقاهى ، ويريدون أمكنة بريئة فتجذبهم مشارب اللبن بطهارتها ونقائها ؟ كما يجتذب فريقا آخر من المهتمين بالمباحث الصحية الذين يهمهم أن يشتروا بالقرش والقرشين مادة يتناولونها فى أثناء جلوسهم بدلا من القهوة والشاى وسواهما ؟

لم تحجم رءوس الأموال عن ارتياد مثل هذه الأعمال ؟ ولم يحجم خريجو الزراعة عن مثل هذا الاتجاه ؟

ضعف الشخصية : هو أول الأسباب التى يرجع إليها هذا الإحجام ؛ فالمصرى الذى قتلت شخصيته فى البيت وهو طفل ، وفى المدرسة وهو يافع وفتى ، وفى المجتمع وهو شاب ورجل . هذا المصرى وتلك نشأته وبيئته أجدر الناس أن يصاب بضعف الشخصية فيحجم عن كل ميدان يكلفه جهدا ويعرضه للنجاح والإخفاق . وفى الوظائف الحكومية متسع للجميع ، فاذا ضاقت عن الجميع ففى الوسائط والمحسوبيات متسع للمحظوظين ، وعلى الباقين أن يتلكئوا على الأبواب للاستجداء والرجاء !

وضعف ملكة الابتكار : هو السبب الثانى للإحجام ، فالمصرى الذى قتلت فيه قوة الابتكار فى البيت والمدرسة وحوربت فيه هذه القوة فى المجتمع . هو أجدر الناس بعدم التفكير فى مشروعات جديدة غير المشروعات المطروقة المعروفة التى يتزاحم عليها الجميع ، فلا تتسع لهم ، أو تتسع ولكنها لا تدر عليهم من الربح بعض ما تدره المشروعات المبتكرة المستقاة من دراسة السوق دراسة مستقلة وتلبية حاجتها المستمدة من هذه الدراسة فى الوقت المناسب قبل أن ينتبه إليها الجميع .

وعدم المرانة العمليـة : هو السبب الثالث من أسباب الإحجام ، فما تزال مدارسنا وكلياتنا بعيدة عن السوق وعن الحياة الواقعة ، والطلاب يعيشون فى صومعة مغلقة لا ينفذ إليها نور الحياة العملية ، فاذا خرج الطالب منها بهرته الأنوار الخارجية وأعشت ناظريه ، فيظل يتخبط حائرا لا يدرى من أين يبدأ الطريق ولا كيف يسلكه . ولو أن المدارس والكليات — ولا سيما العملية منها — وصلت المعهد بالسوق ، وزاوجت بين العلم والعمل فى أثناء الدراسة ، وعرفت الطلاب بالحياة الخارجية فى أثناء الطلب ، لخرج الطالب ملما بحاجة السوق عارفا بشؤونها مدربا على تلبيتها .

* * *

وما يقال عن " مشارب اللبن " يقال عن مشروعات كثيرة تختص بالألبان وحدها و بالمنتجات الزراعية والحيوانية بوجه عام . فبلد كمصر لم يكن يليق أن تكون به كلية واحدة للزراعة وثلاث مدارس متوسطة زراعية ، ومن باب أولى لم يكن يليق به أن يبقى متخرج واحد فى هذه المعاهد متعطلا من العمل . لولا لعنـة الوظائف التى تسرى فى دم المصريين سريان السم فى الأجسام !

ثلثمائة جنيه فى الشهر فى مشرب واحد للبن ؛ هذا مرتب ثلاثين من خريجى كلية الزراعة المحظوظين المحسودين من إخـوانهم المتعطلين . واللبن لا يأتى فى طائرة أو باخرة من وراء البحار ، و إنمـا يجلب من المزارع المصرية وعلى بعد بضعة أميال فقط من العاصمة .

ولو أن هؤلاء الشبان الذين حذقوا دراسة الإنتاج الزراعى والحيوانى عنوا بتلبية حاجة السوق الملحة من الألبان ومشتقاتها الجيدة ، هذه الحاجة التى كانت تضطرنا إلى الاستيراد بمئات الألوف من الجنيهات ، بل بالملايين فى بعض الأحيان — لو أن هؤلاء الشبان توفروا على تلبية حاجة السوق المصرية والشرقية لأسعدوا الريف بعد أن يسعدوا أنفسهم . ذلك أن الريف غنى بالمواد النباتية والحيوانية التى تستهلك استهلاكا أوليا ساذجا فتباع من أجل هذا بثمن بخس لا يكسب الفلاح من ورائه إلا قليلا . على حين أن هذا الكسب كان خليقا أن يتضاعف لو كثرت المعامل المنظمة ، وكثرت مثل هذه المشارب الراقية ، فيزداد دخل الفلاح الفقير و يسعد الريف على أيدى الشبان السعداء الذين تتفتح لهم أبواب الرزق بلا حساب !

* * *

إن فى مصر كنوزا من المواد الخامة ومن طرق الإنتاج المهملة ومن الأعمال الرابحة ، ولكن الشباب المصرى ، مع الأسف ، لا ينتبه إليها حتى يسبقه الأجانب فيها ، وحتى تمتلىء السوق بها ، وحينئذ فقط يحاول تقليـدهم وقد ثبتت أقدامهم فيهـا فيغلبونه بالخبرة وقوة الابتكار والشخصية .

وليس الشباب وحده ملوما فى هذه الحال ، فأصحاب رءوس الأموال المعطلة بجهلهم وحرصهم المعكوس وضعف شخصياتهم وعدم ثقتهم بالشباب المصرى بل بكل ما هو مصرى. هؤلاء الممولون يعطلون المال و يعطلون الإنتاج و يعطلون النهضة الاقتصادية على وجه الإجمال.

ولا نحب أن نمضى فى سرد وجوه النشاط والعمل التى يحتلها الأجانب ولا ينتبه إليها المصريون أى انتباه ، بل لا يعلمون شيئا عن وجودها فذلك شيء يطول شرحه ، ولكنا نكتفى فقط بالإشارة إلى عملية "التوكيلات" وهى مكاتب منزوية لا تلفت النظر ، كل مكتب منها قد تعهد بإنتاج طائفة من المصانع فى أوروبا وأمريكا. فلا يباع شيء من إنتاج هذه المصانع فى مصر أو الشرق إلا عن طريق هذه المكاتب مقابل عمولة خاصة ، وكثيرا ما يصل ربح المكتب الواحد فى العام إلى عشرات الألوف من الجنيهات .

وتبحث عن مصرى واحد فى هذه المكاتب فلا تجد، مع أن الكثير من المحلات المصرية يلجأ إليها فى صفقات الشراء والاستيراد ، فهى معروفة إذن لبعض المصريين ، ولكنها مجهولة من الشبان طلاب العمل لأنهم مشغولون عنها بالتسكع على أبواب الوزارات وفى طرقاتها يلحفون فى الرجاء بل الاستجداء !

والخلاصة أن مرافق العمل فى مصر ليست ضيقة ولا مغلقة ، ولكن الهمم هى التى ضاقت بأصحابها والشخصية التى ضعفت عن المغامرة ، وأغلال التربية الفاسدة وقيود التعليم العقيم هى التى تقعد بالشباب المصرى عن موارد الكسب الواسعة فى جميع أرجاء البلاد .

من شعر شوقى فى شبان العصر :

شباب قنع لا خير فيهم   وبورك فى الشباب الطامحينا